



على الرغم مما أشيع عن سبب تعليق المعارضة السورية للمفاوضات مع نظام الأسد مرده إلى اكتشاف المعارضة عدم جدية وفد النظام ورفضه مناقشة الانتقال السياسي، كذلك تهربه من الالتزامات المتعلقة بإيصال المساعدات وإخراج المعتقلين، غير أن هذه الأسباب على أهميتها لم تكن الدافع الحقيقي لاتخاذ هذا القرار، ذلك أن المعارضة تدرك أن الصراع أكبر من قضايا تفصيلية وأن مفاوضات جنيف تحولت إلى منبر لصراع إقليمي دولي يستعرض كل طرف قدراته على إخراج الآخر وتنفيذ روايته واستقطاب المزيد من مؤيدين الدوليين له، فلا المعارضة ضمن هذه الشروط كانت مستعدة للتضحية بهذه الفرصة ولا النظام كذلك.

وعلى كثرتها، لم يكن أحد ينظر للأفخاخ التي نصبها كل طرف للآخر، سوى تكتيكات تفاوضية يحاول كل طرف إيقاع خصميه بها ضمن المدة الزمنية التي تشغله المفاوضات أملًا في إيصال الطرف الثاني لنهایة المفاوضات، وقد استهلكت قواه وبات مستعداً لتقديم أكبر قدر من التنازلات، كل الأطراف كانت تعي هذه اللعبة لكن كلها كان لديها رهاناتها في الفوز انطلاقاً من رؤيتها لموقعها في الصراع ووضع حلفائها والمعطيات الإقليمية والدولية.

غير أن المعارضة تفاجأت مع بداية جولة مفاوضات جنيف 3 بوجود مناخ مثير للشك بدأت تعبّر عنه طروحات دي مستورا الغريبة، من اقتراح **تعيين ثلاثة نواب للرئيس إلى تعيين خمسة**، على أن يتم الأمر بناء على الدستور الحالي الذي يمنح الأسد صلاحيات كبيرة جداً، وثم بعد ذلك الحديث عن تسلسليات تتحدث عن مجلس عسكري، وإزاء زحمة هذه التسلسليات والمقترنات التي ظهرت بظرف يومين، غابت ملامح الوسيط الدولي دي مستورا وغاب شعاره التفاوضي الذي أكد عليه قبل بداية الجولة بساعات من أن المفاوضات ستتناول مسألة الانتقال السياسي، وبذا دي مستورا كأنه يمارس عملية تجريب للطروحات حتى أنه لم ينخرط في نقاشها بشكل جيد لعدم معرفته بتفاصيلها، كانت المقترنات تطرح ثم تسحب من التداول بلحظات، وبذا دي مستورا وكأنه يضع سماعات في أذنيه وثمة معد من خلف الكواليس يلقن الكلمات؟

لم يكن صعباً على المعارضة اكتشاف نقطة التقاطع في كل تلك الطروحات، وهي أنها كلها تستثنى مصير الأسد بل وتضع الحل تحت سقف وجوده وفي ظل الدستور الذي صممه على مقاسه، ولم يكن من الصعب تاليًا اكتشاف جوهر السيطرة الروسية على هذه الطروحات والتنازلات العميقة التي قدمتها إدارة أوباما، وذلك بنزولها إلى أقرب نقطة للرؤبة الروسية بعد أن قامت واشنطن بإعادة تقييمها للمشكلة معتبرة أنها تكمن في داعش وخطورها على أوروبا ومصالحها الإقليمية وليس الأسد ونظامه، ويبدو أن إسرائيل التي دعت العالم للاعتراف نهائياً بإسرائيلية الجولان دور في القراءة الأمريكية الجديدة، ذلك

أنه مع بقاء الأسد الضعيف والمهزوز ستتم إسرائيل قريرة العين طويلاً في منتجعات الجولان، في حين أن ذهابه سيعني ولادة مناخ أمني جديد على حدود الهضبة.

إلى ذلك، فإن الموقف الغاضب الذي عبر رئيس الهيئة العليا للمفاوضات رياض حجاب كان بمثابة رفع البطاقة الحمراء في وجه أمريكا مذكراً إياها باستحالة التنازل عن أهداف الثورة ومطالب السوريين واستحالة قبول بشار الأسد بعد كل ما مارسه من إجرام، وبأن الدول الكبرى لن تستطيع فرض مواقفها ورؤاها على الشعب السوري مهما تطلب الأمر من تضحيات جسام.

الغريب أن هذا الموقف الأمريكي المتراجع إلى حد الغدر ليس بالمعارضة السورية بل بالدول الداعمة للثورة، هذا الموقف يتزامن مع زيارة باراك أوباما إلى الخليج واجتماعه بزعماء دوله، والمعلوم أن العلاقات بين الطرفين تشهد حساسية عالية نتيجة السياسات التي تتبعها إدارة أوباما تجاه المنطقة، فكيف سبب أوباما موقفه هذا أم إن برنامج محادثاته لن يلحظ الأزمة السورية وسيكون داعياً يتذكر خلاله مع الزعماء مواقفه المتميزة تجاه المنطقة وكفى؟

إذا كان هذا كل ما لدى الجانب الأمريكي وهذا ما انتهت إليه السياسات الأمريكية، فإنه وبعيداً عن الشعارات الكلامية التي مارستها إدارة أوباما منذ خمس سنوات، وبحساب النتائج، تكون واشنطن أكثر الأطراف رعاية لنظام الأسد وحماية له، إذ إنه من موقعها كقوة عظمى منحته هوامش واسعة للمناورة والتحرك ظهر خلالها وكأنه يتحدى العالم كله، وإذا كانت روسيا قد استخدمت سوريا ميداناً لتجربة أسلحتها، فإن الولايات المتحدة استخدمتها لتجربة سياساتها وتدريب مفاوضيها على تحقيق المصالح من لحم ودم الآخرين.